

سمير عبد الباقي

قصائد غير شخصيّة

الغلاف : زكي عمر

حميد عبد الباقي

قصائد غير شخصية

شعر

دار
الهمداني
للطباعة والنشر - عدن

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

طبعة أولى //٨٤

إلى فلاح مصرى تعلم القراءة
والكتابـة والحساب إسمـه
عصمـت سيـف الدولـة

أطالع وجهك الأسمر
كظل مواكب التاريخ منتصباً على النهر
يراقب دورة الحكام والأيام والحجر
وينتظر إمتزاج الرعد بالإنسان والصخر
فأوقن أن حزن الشعب كالفيضان .. إن يأتي
سيكسر حدّة الصمت
ويعبر حاجز الموت ..
ليصرخ في حقول الريح مبتهلا إلى المطر :
عبرت الجسر رغم حصار أعدائي ،
وطالت سكة السفر ..

حملت إلى ضفاف النهر قصتنا الشتائيه
أقدمها لقرص الشمس قرباناً وأغنيه
أتتني الريح من أقصى صعيد القلب والوطن
تؤكد أن شريانا بقلب العصر ينفجر
ليكتب بالدم الفقراء فوق مقابر الكهان والمملوك
والوالي . ونصف القيصر المجنون أشعاراً
مواويلا صعيديّه
تقول بصوتها العسليّ للأشجار والزمن ..
بأنّا في بدايات الشتاء تواعدنا مع الأيام ..
أن نبكي ..
نلون من عيون الليل أزهاراً
إلى الشهداء والأطفال ..
فلاحي حقول الملح والمرضى ..
وأنّا منذ ذاك الحين نصنع خبزنا ونجوع ..
نسوق الماء نحو البحر - نحو مخادع الحكام .. موجاً
إثر موج من دموع ..
ونحفر في الحجارة والتراب معابداً للموت . نأكل

من عظام السابقين
ونجد الوقت ــ بعض الوقت كي نفرح
ونخفي فرحنا عنهم .. ولا
نبدى لهم إلا مخاوفنا البدائيه ..
لأنّا غيرهم أبداً ..
تمر بنا فراعنةٌ وأيام مرور العابرين ..
ونحن هنا ولم نفنَ
وحتى الآن مازلنا على الشطآن . رغم تواكب المحن
نخيلا أسمر الوجنات منتصباً على النيل . !

فيا طفلا صعيديًا
أتيتك من مجاهل قريتي البحرية الشرفات . كي أشدو
على أغصان قريتك التي بقيت على الجدران . تقويماً
وتعويذه ..
تؤكد أن هذا الشعبَ ..
ليس الصامت المنسيّ فوق نوافذ الزمن
ولا ذاك الذى فى القبر والتابوت . تشهق فوقه
فتيات شيكاغو من الوجد

ولا هذا الذى كنا رأيناه ، بظهر السوق معروضاً
على التجار والجندِ
ولا المرسوم فى الصور البريديه ..
ولكن ... ذلك الفلاح طفل الجوع والأشواك
والغضب
يهل على خيول الليل ، رعباً للذى يطغىٰ ..
فيهتك ظلمة اليأس ..
وليس بكفّه الجرداء غير الحلم .. والفأس . !

أطالع وجهك الأسمر
فأومن أننى للطين ، هذا الطين أنتسب ..
وأنى ذلك الطفل الذى سيقوم منفلتاً من الرحم
الذى أجدب ..
تجمّع أمه الأشلاء فى وهن ولا تهدأ ..
ليبدأ دورةً أخرى مع الفقراء ، يشعل ضفّة النهر . !
نوفمبر ١٩٧٩

إلى نبيل الهلالي
المناضل الانسان والصديق

يحمل الأطفال فرحتهم إلى بابك
ويعلقون قلوبهم ورداً على شباكك النيليّ ، يرتحلون
خلفك نحو مصر القادمه ..
ويهرول الشعراء نحو الواحة الشعبية الكلمات في
عينيك – تحملهم إلى شطآنك الريحُ الطليقة والقصائد ..
وأنا – أخوض الليلَ والزنزانة التي وشمت على كتفيّ
منذ وعيت أشواق الحقول ،
أتسلق الكثبان ، أخترق الحوائط ، أستحيل خرائطاً
مصرية القسمات والأنهار والرؤيا ..
أذوب في الفيضان ، في الجدبِ أصلي ، مرسلا صوتي
كدقات الطبول ...

أقول :

هذا صاحبي ..

وإليه ألجأ من مخاوف ما سينطقني فمي ..

وأنا مزجت دماءه بدمي

وسهرت أنتظر انتصار المعدمين ..

خاب انتظاري مرتين ، وما مللت الصبر ..

لكني كرهت تعاقب الزمن الكريه الرائحه ..

وسئمت أحزان الرجال المتعبين

ولذا مضيت وراء مواكب الأطفال ، مبتهجاً إلى بابلك

لأطرز القلب الذي أضناه جدب الأرض ، أغنية

ومنديلا وحقلا من سنابل ..

يعدو به فرحي إليك ، وأستريح .!

●

رقصت بلابل قريتي حين أنتسبت إلى إبتسامتك

التي عجز الأعادي عن هزيمتها ، فظلت تبعث

الدفءَ بساحة الفقراء والمدن الصغيرة . . .

وتجمعَ الأطفال حولك ، والنساء الضيقاتُ الرزق

والعمال في رحم المصانع ـ يسألون :
أي أحزان دعتك إلى رغيف الكادحين ..
ونأت بقلبك عن مجاعات الملوك المترفين
أي أفراح دعتك إلى القرى عبر الفصول ..
وتوجتك مسافراً عبر الحقول الضارعات
إلى المواسم ..
يارفيق الشمس والبحر وأزهار الملاحم ..
أي حلم كان يستهويك طفلا .؟
أي حلم كان يغريك بخبز السجن . بالحب
الذي ينساب خلف النهر نحو منازل الفقراء
والزمن الملوّن والأغاني الآتيات ..

أي حلم كان يغريك بجمر النار . بالريح العواصف
بالشموس المحرقات . !

أي حلم كنتَ ؟ ـ لا أدري . : ولكنيَ أوقن ..
أن يوماً قادمٌ لابد يحملني إلى الشعب الذي
أعطاك إسمه ..

ألقي على عتبات بيتك كلّما يرهق قلبي ...
أشكو إليه – إليك أحزاني وبأسي ..
أدعوك أن تجلو أمام جحافل الأعداء والأصحاب شمسي
لتحصّن الأشعار من أوهام يأسي ..

●

أي حلم أنت ؟ .. لا أدري .. ولكني موقن ..
أني يوماً سأخرج من ظلام التيه ، مهتدياً بنجمك
للخلاص ..
لأشارك الأطفال والعمال ، فرحتهم على بابك ..
وعلى الطريق أسير منتشياً
ألوّح للوجود
أفاخر الدنيا ..
وأذوب في الفيضان في الجذب ، أصلي ..
مرسلا صوتي كدقات الطبول ...
أقول ...
هذا صاحبي ..
هذا رفيقي ..

شاركته الخبز الفقير فهان جرحي والتأم ..
وشكوت ما أثقل قلبي ...
فابتسم ...
فحملت بسمته إلى جدب الحقول ...
فأزهرت من دفء بسمته الحقول . !

باب الخلق ١٠-١٢-١٩٧٩

●

مرثية ليست للبكاء على زكي مراد . !

الموت يوقظ ساحة الفقراء ..

هذا شتاء بائس ، يبدو عليه ...
صباحه عكرٌ مرير
ومساؤه بالحزن صار فجيعةً
والفرح فيه كنوبة الحمى ... قصير ..

الموت دق خيامه في ساحة الفقراء ...
— يا أيها الفقراء هل لي من مُنازل ؟ ..
إني ملكت الأرض والدنيا وفاصلة الكلام
ما كنت آتي فجأة ..
لكنني كالريح أقبل كالوباء ...

كعلامة الحقد التي بقيت بذاكرة الفراعنة
الأواخر والأوائل !

الموت عض على نواجذه وصاح . . .
– هل من مقاتل ؟ ...
إني رأيت رؤوساً في القرى ، نضجت ..
آن الحصاد فهاتي منجلَ الغدر ! .

الموت أسفر عن هويته سفور القادرين
وراح يوغل في التجني ..
ويحط من قدر القرى ويشق صف الكادحين
نشر البنود الزائفات على الصواري
ومضى يجوس خلال أسواق المدينة والدروب الجائعات
مفاخراً بين الجنود
هذي تباشير القتال وتلك قارعة الوعود ! ...

أو سوف تمضغ حسرة الموتى ، بائسة الحواري ؟ .

ونبيت نبحث عن تعاويذ لتهدئة القلوب ..
وصكوك غفران لتبرئة الجناة
ونفر رعباً من منازلة الرعود .. نفر من هول الحياة ؟ .
أم سوف نبصر ما وراء مواكب الموتى
وظل المخبرين . ؟ .
ونعي بقلب عاشق هم القرى ...
وجريمة الحزن المطارد عبر سيناء إلى عقر الصعيد ؟ !

معكم أعيش لآخر الأنفاس

هذا شتاء بائس ، عيني عليه ...
الفرح فيه كلمحة الذكرى ، كذاكرة الضرير
والحزن يولد جثة الفقراء
أطفالا كوجه الزمهرير ...
هذا .. وأنت مضيت تستدعي المطر ...
ليبارك الفرح المقاتل في الدروب ...
وأخذت تشعل عند أطراف المدينة والقرى ، نارا ..

ونجمع من حقول الكادحين جذور مازرعوا ، وما صنعوا
لتصبح شمسهم دفءاً وأغنية ، تقود الخلق
عبر متاهة الليل الكئيب ..
لكنه العام الرهيب
وأنت قربان إليه ..

قلبي على أنفاسك الأخيره ..
عيني على دقات قلبك الأخيره ..
وأنت فوق قمة البداية العسيره ..
تحس خنجر النهايه ،
يشق للعدو منفذاً إلى أضلاعنا الفقيرة
– الفقيره . ؟

●

فكرت في أطفالك الأحباب أم فكرت فينا ..
وذكرت ما قد عودتك عليه رحلتنا .. وأزمتنا صنبنا . ؟
أم كنت ترحل خلف ذاكرة الوطن
وتكون الدنيا بأفراح صغيره ؟ !

هذي المدينة تنكر الأنباء . لكن لست أكرهها ...
وإن عانيت حينا . !

- أحببتهم أبداً .. وكان البعض يكرهني .. ولكني ، أسامح ...
إن تمتد أيديهم لأيدينا . .

- أو هذه الأشجار .. أذكرها ؟ .. أظن .. تتشابه
الأشجار في كل الأغاني ..
من واحة المنفى إلى الحزن الذي . صارحت فيه الناس
بالحب الذي . أثقل قلبي .. وأنا بعد .. صغير ! .
آه ... آآه ...

هنالك طفلة عبر الطريق . وطفلة بالبيت ..
والجرح مازال بسيطا ...

- ولكم وددت من زمان أن أكون شاعرا ...
ذوبت نفسي في مياه النيل عاشقاً . وساحرا ..

شكلت من طين الحقول .. عرائسا
خمرية الملامح ...
ثم انطلقت في حدائق الزمان والمكان ...
حائراً .. مهاجرا ...
وكان قول الشعر في حبك يامصر جريمه ...
فغزلت من قضبان سجني ماوعدتك من قصائد
وعبرت نحوك كل تلك البيد
أروي غلةً للحب صادية
لكنني أبصرت نهرك في يد الأعداء مرتعش الضفاف ..
مكبّل الكفين
معتكر الوجوه . !

— وكان أسلم أن أعود ..
— أكان أسلم أن أعود ؟ ! .. حقيقة ؟ ! ..
لكنني حملت بالأمل الشقي مراكبي .
حملتها أمنية مصرية الدماء والجوانح . وخلقت منها
أحرفاً عربية الكلمات
لها رنين الطبل في الفرح الفقير . !

- خوضت في مجاهل المدائن المجرده ..
طرقت فوق صلب أضلع المصانع والمزارع بالأغاني المجهده..
حدثتها عن كل ما أثقل عمري ..
حدثتني عن متاعبها . وأصبحنا أحبه ! .

- هذه العربات ترهقني وتسلبني دمائي ..

- ما أجمل الأزهار حتى في المقابر ..

- أي حزن سوف أتركه ورائي ؟ !

- أنا ما نكرت هويتي أبداً .. ولا أنكرت ديني ..
وزرعت في كل الحقول بشارتي ..
وقرأت فوق مقابر التاريخ أنشدتي ..
ودخلت كل مدائن اليأس المدجج بالسلاح ...
تزهو بكفي راية حمراء .. واضحة المعالم والملامح
لا تنكسها .. رياح ...

ولقد هرمت للحظة . ويئست مرة ..
وتخلف الأصحاب عني ذات يوم .. حين كان الموت
يرصدني . ولكني نجوت . كسر الأعداء سيفي
مرتين وما كبوت ..
وراح بعض الناس يبتكرون أعذاراً لتنكيس الرماح ..
وقد غفوت . وطال ليل اليأس . لكني .. عبرت ..
غاصت حوافر خيلي الحمقاء في الرمل المراوغ .. فارتميت .
لكنني رغم التباعد والمشاهدة العقيمة والعطش ..
لوحت نحو الشمس .. فانتبهت إلى ظلي القوافل ..
مازلت حتى الآن رغم الموت أقبل ..
فانظروني ...
شامخاً .. أقبل من كل المداخل .. أنظروني ...
إن هاجرت خوف المواجهة البلابل ...
إني أبداً .. أعود ولا أهاجر .. فأعذروني ...
إن لي تحت مياه النهر .. داراً .. ونخيلا ...
وبيادر ...

أبو مريم - ترقد تحت موج النهر من زمن . وتنتظر
انفجار الغيب . بالوعد . الذي عاشت له
عبر المواسم والفصول . .
كانت تودع كل حين طفلة أو أمنيه .
للبحر ترسلها وتحلم بالسنين الآتيات من العصور
الغافيه . .
وتظل فوق شواطىء عمرها الأزلي تنتظر الطيور
النائيه . .
ترنو إلى سحب الشمال القادمات من الغياهب
يا جنون الإنتظار . .
وتسائل الرمل الذي يمتد عبر العمر كالقدر المهول
عما ستنكشف الحقول
وما سر سله المطر . .

وتسائل الأيام عما سوف تحمله المراكب للذين
تمزقوا تحت الحصار . !

يا أيها الزمن اللعين خذلتني . . .
لم دون كل الخلق طفلي لايعود ؟!
لم فجأة ...وجميع أفراح القرى كانت به أبداً رهينه . !
أنا ما وثقت بوعد أولاد الزواني ..
لا .. ولا دانت قراي لخندهم عبر العصور
ما كان وان يستطيع خديعتي أبداً . ولا كان
الزمان بحلوه ومراره يوماً سيسمع آهتي ..
لولا فراقك يابني ...

فأنا وعدتك أنت بالحزن الخفيّ . وعدت قلبك بالهوى .
وأنا إليك لجأت حين انتابني الخوف العقيم ..
وتخطفت أحلام طفلتنا تهاويل الظلام ..
باركت خطوك للشهادة ..
وقلت ... هذا طائري ..
أرسلته للبحر كي يأتي لنا .. بجرائد الأطفال

والخبز العصيّ ..

ووثقت أنك عائدٌ لابد بالألق الذي ..
تخفيه هذا الجدْب عنا ..
أرضعت أطفالي انتظاراً وأغانيَ ومنّا
فارجع إليّ فإن صبرك قاتلي ..
ماعاد يسعفني التأني ..
فأنا عجوز هدّني الترحال من أرضٍ لأرض
أدمت كفوفي هذه الحقب البخيله ..
وتكاثر الأعداء حول النخلة التي خبزت رغيفي ..
هذي أظافرهم على جلدي
وهذي نارهم في عقر داري ..
الموت خالفهم وخالفني وليفي ..
ومضيت أنت كبارق الحلم الرهيف ...
أنت الذي حملت ضفاف النهر جنّته
ربيعاً في الخريف . !
٣٠-١٢-١٩٧٩

إليه فى عيد ميلاده

نقش صورتك على وجه الماء. !
نكتب قصتك على وجه الريح..
تخرج من جعبتك اللعبة تلو اللعبه
وتبدل أقنعة الضعف بأقنعة البطش
تتوعد أهلك...
لتنام على حِجْر عدوك..
تهدأ.. تبكي عند الحائط
ياخاتم عنقود العملاء...
وتعود لتضحك ، تتفله ، تتباسط
«ربك يرزق من شاء متى شاء. !»
وراض أنت برزق الله..

و كأنك أولدت الحنظل بلحا للفقراء
و كأنك لم تضع الملح بجرح الشهداء..
ترتعد قبور المغدورين بسيناء..
أى خطايا الأجداد تفسر يوماً قصتك
تبررها للأبناء.!

●

تنظر فى المرآة وتحلم بخلود وهمي
– البلسم أنت
وانت بكارة أحلام القرية
حامل أسرار الماضى والحاضر و كتاب الحكمه
غافر أخطاء الموتى، جالب حظ الأحياء...
وبنى العصر الملهم..
قبلك كان الطاعون..
وبعدك يأتى الطوفان وتنطفئ الشمس.!

ياطفل الوهم الأمي...
يستيقظ أهل الكهف على ضجتك
ينجذب إليك الموتورون.. الأزلام...

الخونه...
والمتكفئون على دبر العصر
ينصرك السفلة شذاذ الآفاق
وسراق طعام الفقراء بمصر..
وهاأنت الآن وحيد فوق القمه

إنكشفت عنك بفضل القانون الغمة..
أخرست الألسن
كسرت السيف..
وقصفت جميع الأقلام ولكن ضاع حصاد الصيف
تنظر حولك...
تبصر فى كل الأركان عيونك تتأمل فيك
تغازلك بوجد
أيديك تحييك.. وترفعك على درج المجد
لسانك يسدع لك..
أنت تناقش أنت تبايع أنت..
صوتك يعشق سمعك يسكن فى أذنيك
تفخم حرف الشين، تتأنى حرف التاء

تستهلك جرس الكلمات الفاخرة الجوفاء
يسكرك التصفيق فتنسى ماكان عليه الأمر..
وتخالد ماصار إليه الحال..
«..ربك حنّان منّان فى كل الأحوال..
تكفر إن تسأل فهو الفعّال.!»
وتصدق نفسك..
يبهرك الضوء..
فتضبط إيقاع الخطوة تسقط فى إيقاع الزمن الأجوف..

لكنك تعرف..
أقسم أنك تعرف..
أن الليل قصير
والعمر قصير
والكذب وإن طال الحبل قصير
ولكل منا في التاريخ مصير..
والعالم أضيق من أن يسع الضدين
فأرحل في المرآة إلى النسيان..

أو اقتل نفسك
هذا أفضل..
فلن يفتقدك أحد. حتى أنت..
إذ سوف تجئ اليوم وتدعو ربك..
أن يمحو إسمك من ذاكرة اللعنة في قلب الأوطان. !

●

أصغر أطفالك يا أمي، لم يتعذب
كان الأمر بسيطاً .. كالموتِ..

سنوات العمر الأولى كانت مثقلة بالأحزان
وبالوعد
يكبر طفلك فجأة..
يعرف أكثر مما كنتِ تودين
يمضي أبعد مما كنت تريدين
يتجاهل صوتك حين تنادين، فلا يرجع..

يلمس حد السيف
ينظر بين الجرح وبين السكين
يتعرّف في الشمس على صورتك المحترقة..